مهذب

زاد المعاد

في هدي خير العباد

تأليف

الإمام محمد بن أبي بكر الزرعي

المشهور بابن قيم الجوزية

توفي عام ٧٥١هـ

رحمه الله

تهذيب

سعد بن عبد الرحمن الحصين

شارك في التهذيب والتصحيح

الشيخ / يوسف الغويري

الزرقاء - الأردن

طبع على نفقة

شركة عبد العزيز و محمد العبد الله الجميح

جزاهم الله خير الجزاء

حفظ حقوق التأليف والطبع قانون وضعي.
وعلوم الشريعة لا يجوز تحجيرها ولا احتكارها،
ونشرها ابتغاء وجه الله عبادة صالحة.

طُبع المهذّب أوّل مرّة
عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م
وطُبع مرَّة ثانية
عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
وطُبع مرَّة ثالثة
عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: (٤٤٨ / ٢/ ٢٠٠٢)
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٤٤٥/ ٢/ ٢٠٠٢)

الناشر
وقف الأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم

«مقدمة»

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه وشرع شرائعه، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها أُسِّست الملة، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، وعنها يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ﴿**ماذا كنتم تعبدون**﴾، و﴿**ماذا أجبتم المرسلين**﴾، فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلا الله معرفةً وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: بتحقيق أنَّ محمداً رسول الله معرفةً وإقراراً وانقياداً وطاعة.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته والقيام بحقوقه، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

أما بعد: فهذه كلمات يسيرة[1] لا يستغني عن معرفتها من له أدنى همّة إلى معرفة هدي نبيّه ﷺ وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) قال محقّقا الأصل: إن أوفى كتاب في هدي النبيّ ﷺ هو كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام ابن القيّم، فقد استوعب فيه رحمه الله هديه ﷺ في شؤونه العامة والخاصّة، شأنه رحمه الله في كلّ تصانيفه التي تجري على نسقٍ واحد من الجودة والإتقان والإحاطة بالموضوع من جميع نواحيه. وكلّ من يقرأ مؤلفات ابن القيّم بتبصّر وتمحيص يعلم حقّ العلم أنه رحمه الله جمع من علوم القرآن والسّنّة والإحاطة بفقه السلف ما لا نعلم مثله عن كثير من العلماء ممن تقدّمه أو أتى بعده.

«هديه ﷺ في الدعوة إلى الله»

كان خُلُقه ﷺ القرآن (صحيح مسلم)، يهتدي به ويهدي إليه، ومن القرآن أخذ منهاج دعوته إلى الله: ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني**﴾. ومن القرآن أخذ أسلوب دعوته إلى الله: ﴿**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾.

(**ترتيب الدعوة**): كان للدّعوة إلى الله في رسالة محمد ﷺ سبع مراتب:

١) "أول ما بُدِئَ به من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"، رواه البخاري، تهيئة له لِتلَقّي وحي ربه.

٢) وأوّل ما أُنْزِل عليه من القرآن قول الله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ فعلّمه الله بالقرآن ما لم يكن يعلم، فالعلم هو البصيرة التي قامت عليها دعوة الحق، ولا تصلح دعوة إلى الله إلا بها.

٣) ثم أُمِر بتبليغ القريب منه والبعيد، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها المدثّر * قم فأنذر**﴾، وقال تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾، وقال تعالى: ﴿**لتنذر أمّ القرى ومن حولها**﴾، وقال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للنّاس**﴾.

٤) وكان أول وأعظم ما دعا إليه -مثل كلّ من سبقه من الرّسل-: إفراد الله بالعبادة، وهذا هو سبب خَلْق الجنّ والإنس، قال الله تعالى: ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون**﴾، وهو معنى: ﴿**لا إله إلا الله**﴾ أساس دعوته ﷺ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وهو الفارق بين الإسلام والكفر.

٥) وكان أوّلُ وأشنع ما نهى عنه، مثل كلّ من سبقه من الرسل: إشراك المخلوق مع خالقه سبحانه وتعالى باتخاذ المخلوق وليّاً يدعوه تقرّباً به إلى الله، قال الله تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ وطلباً لشفاعته عند الله، قال تعالى: ﴿**ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾.

٦) وبعد عشر سنوات من بداية بعثته ودعوته ﷺ فُرضت الصلاة، فهي أهم أركان الإسلام بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

٧) وبعد الهجرة إلى المدينة فُرضت بقية أركان الإسلام من العبادات: الزكاة والصّوم والحجّ، وتتالت شرائع الإسلام في المعاملات: البيع والنكاح والميراث والجهاد وغيرها.

ومن هذا يتبيّن هدي النبي ﷺ بهدي الله له في ترتيب الدعوة إلى الإسلام، لا يتغيّر بتغيّر الأحوال ولا يتبدّل: العلم ثم دعوة القريب فالبعيد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ونفيها عمّن سواه، ثم إلى العبادات العملية ثم إلى المعاملات الشرعية [والعكس مخالفة لهديه ﷺ].

«الأمر بالتوحيد»

مِنَ استقراء ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من الأمر بالتوحيد والحث عليه وتفضيله وتقديمه على سائر شرائع الإسلام يتبيّن أنه يشمل أمرين عظيمين لا حظّ في الإسلام لمن فرّط فيهما.

الأول: توحيد الله بربوبيته لخلقه، فهو الخالق الرّزاق المحيي المميت المدبّر المتصرّف، وهو القاهر فوق عباده وحده لا شريك له، وتوحيد الله بأسمائه وصفاته كما وردت في الكتاب والسنّة، دون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ودون تأويل يصرفها عن معناها المعلوم من لغة العرب التي اختارها الله لوحيه، قال الله تعالى: ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾.

وهذا الأمر وحده لا يكفي العبد للدخول في الإسلام ولا الثبات عليه، قال الله تعالى: ﴿ **قل من يرزقكم من السموات والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولن الله** ﴾.

الثاني: توحيد الله بعبودية العباد له، فلا يُدعى إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾، ولا يُستعانُ إلا بالله، قال تعالى: ﴿ **إيّاك نعبد وإياك**

نستعين ﴾، ولا يُستغاث إلا بالله، قال الله تعالى: ﴿ **وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو** ﴾، ولا يُصلّى ولا يُذبح إلا لله، ولا يُقصد في أمور الدين كلها إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ **قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين** ﴾.

«النهي عن الشرك»

بيّن رسول الله ﷺ لأمته أنّ أكبر الكبائر وأوّل الموبقات الشرك بالله (البخاري ومسلم)، اتباعاً لهدي الله في كتابه: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً** ﴾، ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾، وما أُوحي إليه وإلى الأنبياء من قبله: ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾.

(**حقيقة الشرك الأكبر**): من هدي النبي ﷺ بما أوحى الله إليه أن أكبر وأخطر مظاهر الشرك في جميع الأمم والأمكنة والأزمنة: الأنصاب والمشاهد والمساجد التي تبنى على قبور الأنبياء والصالحين، وهي أصل الأوثان والأصنام؛ فقد ورد في صحيح البخاري في تفسير قول الله تعالى عن أوثان قوم نوح: ﴿ **وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنهما: أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها بأسمائهم. وبيّن رسول الله ﷺ أن هذا الشرك الأكبر سيظهر بعده في أمته؛ «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيات نساء دوس على ذي الخلصة»، وكانت صنماً تعبدها دوس وخثعم في الجاهلية (البخاري ومسلم).

وكان آخر وصاياه ﷺ لأمّته التحذير من ذلك؛ فقد قال في مرض موته عن النّصارى: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصّور، أولئك شرار الخلق عند اللهَ» متفق عليه.

وقال ﷺ عن اليهود والنّصارى: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت عائشة رضي الله عنها: يحذّر مِثْل الذين صنعوا، متفق عليه.

(**هديه ﷺ في بقاع الشرك**): حرّم رسول الله ﷺ العبادة في البقاع التي يعصى فيها الله ورسوله بالإشراك والابتداع في الدّين، فقد أخرج أبو داود عن ثابت بن ضحّاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟ قال: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم»؟ قال: لا، فقال: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله». وقد قال الله تعالى عن مسجد الضرار: ﴿**لا تقم فيه أبداً**﴾.

فدلّ الحديث على تحريم النذر لغير الله، فإن أخطأ أحد لجهله بشرع الله فلا وفاء عليه، بل الوفاء بالنذر لغير الله شرك أكبر، ودل الحديث على أنّه لا يجوز أداء العبادة لله في مكان يعصى الله فيه بالشرك والبدعة وإن صلحت نية العابد.

(**إزالة مظاهر الشرك والابتداع**): أمر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بهدم المساجد والمشاهد والمزارات والمقامات لأنها أسّست على معصية الله؛ فأمر بهدم مسجد الضّرار (ابن هشام) وهو مسجد يصلّى فيه ويذكر اسم الله لـمّا كان بناؤه ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، فلم يُؤسَّس على التقوى من أول يوم كما وصفه الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة، وأمر بهدم وثن [مشهد أو مزار] على قبر اللات وكان رجلاً صالحاً يلتّ السّويق للحجاج فلمّا مات بنوا على قبره مزاراً (ابن أبي حاتم)، وأمر بهدم وثن مناة (البخاري) والعزّى (النّسائي) وذي الخلَصَة (ابن إسحاق) وأمثالها من النُّصُب التي يُتَقرّب بها إلى الله.

وإذا كان أمر الله ورسوله في مسجد الضرار الهجر والهدم؛ فمشاهد ومزارات الشرك -التي اتخذها الشيطان أحبولة للضلال يُتَقَرّب بها إلى الله ويُستشفع بها عنده منذ قوم نوح إلى قيام الساعة- أولى بالهجر والهدم، وواجب على ولاة الأمر من المسلمين تعطيلها وإزالتها استجابة لأمر الله واقتداء بسنة رسوله ﷺ. فَيُهدم المسجد إذا بني من أجل القبر، ويُنْبَش الميت إذا دفن في المسجد، نصّ على ذلك الإمام أحمد

والنووي وغيرهما، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، وأيهما طرأ على الآخر وجب إزالته وكان الحكم للسابق، ولا يجوز وقفه فلا برَّ فيه ولا قُرْبَه.

ولا تصحّ الصلاة فيه فرضاً ولا نفلاً، لنهي الرسول ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ولَعْنِه من فعل ذلك، وكان ذلك آخر وصاياه إلى أمته كرّرها مراراً عند وفاته (البخاري ومسلم).

(هديه ﷺ في سدّ ذرائع الشرك):

١) من ذلك نهيه ﷺ للمملوك أن يقول لمالكه: ربي، وللمالك أن يقول لمملوكه: عبدي، ولكن يقول المالك: فتاتي وفتاي، ويقول المملوك: سيدي ومولاي (البخاري ومسلم)، وقال لمن ادعى أنه طبيب: أنت رفيق، وطبيبها الذي خلقها»، رواه أحمد وغيره. والجاهلون يسمون الكافر الذي له علم بشيء من أمور الدّنيا: حكيماً، وهو من أسفه الخلق.

٢) ومن هذا قوله ﷺ للخطيب الذي قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»، رواه مسلم، [وذلك كراهية الجمع بين اسم الخالق واسم المخلوق في حرف واحد].

٣) ومن ذلك قوله: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم ما شاء فلان» رواه أحمد وأبو داود. وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده»، رواه أحمد. وفي معنى هذا الشرك المنهيّ عنه قول: أنا بالله وبك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، وهذا من الله ومنك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ووالله وحياتك، وأمثال هذا من الألفاظ التي يجعل قائلها المخلوق نداً للخالق، وهي أشد قبحاً من قوله: ما شاء الله وشئت، فأما إذا قال: أنا بالله ثم بك، فلا بأس بذلك كما في حديث الثلاثة: «لا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك» (البخاري ومسلم)، وكما في الحديث المتقدم الإذن أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان.

٤) ومن ذلك نهيه ﷺ عن سبّ الدّهر، كما في الحديث القدسي: «يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم فيسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلّب الليل والنهار»، متفق عليه، وقال: «لا يقولنّ أحدكم يا خيبة الدهر»، متفق عليه.

وفي هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداها: سبّ من ليس بأهل أن يسبّ، فإن الدهر خَلْق مسخّر من خلق الله، منقاد لأمره، مذلّل لتسخيره، فسابّه أولى بالذم.

الثانية: أن سبّه متضمن للشرك، فإنه إنما سبّه لظنّه أنه يضرّ وينفع، وأنّه مع ذلك ظالم قد ضرَّ من لا يستحق الضّرر وأعطى من لا يستحقّ العطاء، والله وحده ينفع ويضرّ، ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾.

الثالثة: أن السبّ منهم إنما يقع على الله خالقه وخالقهم سبحانه وتعالى؛ فربُّ الدهر تعالى هو المعطي المانع، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبّة لله عزّ وجل، ولهذا كانت مؤذية لله تعالى.

فسابّ الدهر دائر بين أمرين لابدّ له من أحدهما: إما سبّه لله، أو الشرك به. فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله عزّ وجلّ.

٥) ومن ذلك نهيه ﷺ عن سب الريح، بل أمر إذا هبّت أن يُسأل الله خيرها وخير ما أُرسلت به، وأن يستعاذ بالله من شرها وشر ما أرسلت به، فيما أخرجه الترمذي من حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه، وفيما أخرجه أحمد وأبو داود، والبخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٦) ومن ذلك قوله ﷺ: «لا يقولن أحدكم تعس الشيطان، فإنه يتعاظم حتى يكون مثل البيت، فيقول: بقوّتي صرعته، ولكن ليقل: بسم الله، فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذّباب»، رواه أحمد وغيره، ومثله قول القائل: أخزى الله الشيطان، وقبّح الله الشيطان، ونحو ذلك.

٧) ومن ذلك: «نهيه ﷺ أن يقول الرجل خبثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِست نفسي»، متفق عليه، فكره لهم لفظ الخبث لما فيه من القبح والشناعة، وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح.

٨) ومن ذلك نهيه ﷺ عن قول القائل بعد فوات الأمر: لو أنّي فعلت كذا وكذا، وقال: «إنها تفتح عمل الشيطان»، وأرشده إلى ما هو أنفع له من هذه الكلمة وهو أن يقول: «قَدَّرَ الله وما شاء فعل»، رواه مسلم.

٩) ومن ذلك نهيه ﷺ عن قول: هلك الناس، وقوله: «من قال: هلك الناس فهو أهلَكُهم»، رواه مسلم.

١٠) ومن ذلك نهيه ﷺ عن قول: مطرنا بنوء كذا، وقال ﷺ عن ربه تعالى: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، متفق عليه.

١١) ومن ذلك نهيه ﷺ عن الحلف بغير الله، فقد صحّ عنه أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، رواه أحمد وغيره.

١٢) ومن ذلك نهيه ﷺ عن دعوى الجاهلية والعصبية للقبائل والأنساب [ومثلها الفِرَق والأحزاب والطرق والطوائف والمشايخ، والانتساب لها والدعوة إليها والموالاة والمعاداة عليها ووزن الدّين بموازينها]، ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفرعاً: «من قاتل تحت راية عَمِيَّةٍ، يغضب لعصبةٍ أو يدعو لعصبة أو ينصر عصبة فَقُتِل، فقِتْلَةٌ جاهلية».

١٣) ومنها: أنه ﷺ نهى أن يقول لمسلم: يا كافر (البخاري ومسلم).

١٤) ومنها: أنه نهى أن يقول للسلطان: ملك الملوك (البخاري ومسلم).

١٥) ومنها: أنه ﷺ نهى أن يقول في دعائه: اللهم اغفر لي إن شئت وارحمني إن شئت (البخاري ومسلم).

«إظهار الدّين وحمايته»

(الهجرة إلى الحبشة): لما اشتد أذى المشركين على من أسلم، وفُتِنَ منهم من فُتِن حتى قيل لأحدهم: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، وحتى أن الجُعل ليمرّ بهم فيقولون: وهذا إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. ومرّ عدو الله أبو جهل بِسُميّة أم عمار بن ياسر وهي تعذب وزوجها وابنها، فطعنها بحربة في فرجها حتى قتلها، فلما اشتد البلاء أذن رسول الله ﷺ بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشة. وكان أوّل من هاجر إليها عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة. ثم كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة وفيها نحو ثمانين رجلاً وبضع عشرة امرأة. فانحاز المهاجرون إلى مملكة أَصْحَمَة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم إلى النجاشي ليردّهم عليهم، فأبى ذلك عليهم، فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى: إنه عبد الله، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه ومقدّمهم جعفر بن أبي طالب، فلما دخلوا عليه قال: ما تقولون في عيسى؟ فتلا عليه جعفر صدراً من سورة ﴿**كهيعص**﴾، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض فقال: ما زاد عيسى على هذا ولا هذا العود (أحمد وغيره).

فلما رأت قريش أمر رسول الله ﷺ ينتشر، أجمعوا على بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتي يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلّقوها في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلى الشِّعْب، إلا أبو لهب فإنّه ظاهَرَ قريشاً، وحُبِس رسول الله ﷺ ومن معه في شعب أبي طالب نحو ثلاث سنين.

ولما مات أبو طالب ثم ماتت خديجة وبينهما يسير، اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه، ودعاهم إلى الله عز وجل، فلم ينصروه بل آذوه، وكان معه مولاه زيد بن حارثة، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلّمه فقالوا: أخرج من بلدنا،

وأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه فانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزوناً، ودخلها في جوار المطعم بن عديّ وكان يومئذٍ مشركاً.

وأرسل ربُّه تبارك وتعالى إليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما، فقال: «لا، بل أستأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً» (البخاري ومسلم).

(**الإسراء والمعراج**): أسري برسول الله ﷺ بجسده وروحه -على الصحيح- من المسجد الحرام إلى بيت المقدس. فنزل هناك وصلّى بالأنبياء إماماً (مسلم)، ثم عُرِج به إلى السماء؛ فأوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مرّ على موسى، فقال له: بم أُمرت؟ قال: «بخمسين صلاة»، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فلم يزل يتردّد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمساً، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: «قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأُسلِّم» فلما بَعُدَ نادى منادٍ: «قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي» (البخاري ومسلم).

(**بيعة العقبة**): لقي رسول الله ﷺ عند العقبة في الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام، ففشى الإسلام فيها حتى لم يبق دار إلا وقد دخلها الإسلام، فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلاً.

وقال أبو الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم وَمَجنّة وعكاظ، يقول: «من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة» فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه، حتي بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، فائتمرنا واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا بيعة العقبة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ علام نبايعك؟ قال: «على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة»، فقمنا نبايعه رجلاً رجلاً، فأخذ علينا يعطينا بذلك الجنة، رواه أحمد وغيره. وبعث معهم رسول الله ﷺ عمرو بن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلّمان من أسلم منهم القرآن ويدعوان إلى الله عز وجل، فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة، (أبو داود)، فأسلم على يديهما بشر كثير، ثم رجع مصعب إلى مكة.

ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معرور، فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول من الليل تسلّل إلى رسول الله ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فبايعوا رسول الله ﷺ خفية من قومهم ومن كفار مكة، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأُزُرَهم، فكان أول من بايعه ليلتئذ البراء بن معرور، وكانت له اليد البيضاء إذ أكّد العقد وبادر إليه، وحضر العقد العباس عم رسول الله ﷺ وكان إذ ذاك على دين قومه، واختار رسول الله ﷺ منهم تلك الليلة اثني عشر نقيباً.

فلما تمت هذه البيعة استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل العقبة بأسيافهم فلم يأذن لهم في ذلك، وصرخ الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع: يا أهل الجباجب، هل لكم في مذمّم والصُّبَأة معه قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أزبّ العقبة، أما والله يا عدوّ الله لأتفرّغن لك»، رواه أحمد وغيره. ثم أمرهم ﷺ أن ينفضّوا إلى رحالهم.

(الهجرة إلى المدينة): أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة فبادر الناس إلى ذلك، فكان أول من خرج إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة، ولكنها احتُبست دونه ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة، وشيَّعها عثمان بن أبي طلحة وكان يومئذ على الكفر. ثم خرج الناس أرسالاً متتابعين.

ومنع رسول الله ﷺ من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم، وقال: «أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قيل: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «لا تراءى ناراهما»، رواه أصحاب السنن.

ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعليّ بأمره لهما، وإلا من احتبسه المشركون كُرهاً، وقد أعدّ رسول الله ﷺ جهازه ينتظر متى يُأمر بالخروج وأعدّ أبو بكر جهازه، وذكر الحاكم في صحيحه عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال لجبرائيل: «من يهاجر معي»؟ قال: أبو بكر الصديق.

وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر متقنّعاً نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها، فقال له: «أخرِج من عندك» فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله، فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحابة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال أبو بكر: فخذ بأبي وأمي أحدى راحلتيّ هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، رواه البخاري.

ثم مضى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور فدخلاه، وكان قد استأجر عبد الله ابن أريقط الليثي وكان هادياً ماهراً بالطريق، وكان على دين قومه من قريش، وأمّناه على ذلك وسلّما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث (البخاري).

وجدَّت قريش في طلبهما حتى انتهوا إلى باب الغار، ففي الصحيحين أن أبا بكر قال: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا فقال: «يا أبا بكر ما ظنّك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إنَّ الله معنا»، متفق عليه.

وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت معهما في الغار، ثم يدلج من عندهما بِسَحَر، ويستمع ما يقال بمكة ثم يأتيهما بالخبر (البخاري) قالت عائشة: فجهزناهما أحثّ الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك لُقّبت ذات النطاقين (البخاري). ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دية كلّ واحد منهما، فجدّ الناس في الطلب، والله غالب على أمره، فلما مرّوا بحيّ بنى مدلج مصعدين من قُديد، بصر بهم رجل من الحيّ، فوقف على الحيّ فقال: لقد رأيت آنفاً بالساحل أسودَةً ما أراها إلا محمداً وأصحابه، ففطن بالأمر سراقة بن مالك، فأراد أن يكون الظَّفَر له خاصة، فقال: بل هم فلان وفلان خرجا في طلب حاجة لهما، ثم مكث قليلاً ثم قام فدخل خباءه، وقال لخادمه: أخرج بالفرس من وراء الخباء وموعدك وراء الأكمة، ثم أخذ رمحه

وخفض عاليه يخطّ به الأرض حتى ركب فرسه، فلما قرب منهم وسمع قراءة رسول الله ﷺ، وأبو بكر يكثر الالتفات ورسول الله ﷺ لا يلتفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هذا سراقة بن مالك قد رَهَقَنا، فدعا عليه ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعوا الله لي ولكما على أن أردّ الناس عنكما، فدعا له رسول الله ﷺ فأطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً، فكتب له أبو بكر بأمره في أديم، أخرجه البخاري وأخرج بعضه مسلم.

(رسول الله ﷺ في المدينة): بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة وقصده المدينة، فكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرّة ينتظرونه أول النهار فإذا اشتد حرّ الشمس رجعوا إلى منازلهم، فلما كان يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من البعثة خرجوا على عادتهم، فلما حمي حرّ الشمس رجعوا، وصعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه مبيِّضين يزول بهم السّراب، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيلة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جَدُّكم الذي تنتظرونه، فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله ﷺ، وسُمِعت الرجّة والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبّر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقائه فتلقّوه وحيُّوه بتحيّة النّبوّة، فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، وأسّس مسجد قباء، وهو أول مسجد أُسّس بعد النبوّة (البخاري). فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمَّع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب فأخذوا بخطام راحلته: هلمّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة. فقال: «خلّوا سبيلها فإنها مأمورة»، فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم وبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت فرجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في بني النجار أخواله ﷺ. وكان ذلك من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلّمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده (البخاري ومسلم).

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ بمكة فأُمر بالهجرة وأُنْزِل عليه: ﴿ **وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾ (أحمد والترمذي).

قال قتادة: أخرجه الله من مكة إلى المدينة مخرج صدق ونبي الله يعلم أنه لا طاقة له في هذا الأمر إلا بسلطان فسأل الله سلطاناً نصيراً، وأراه الله عز وجل دار الهجرة وهو بمكة فقال: «قد أُريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين» (أحمد وغيره).

قال البراء: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يُقْرئان الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين راكباً، ثم جاء رسول الله ﷺ فما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم به، حتى رأيت النّساء والصبيان والإماء يقولون: هذا رسول الله قدْ جاء (البخاري).

(**بناء مسجد النبي ﷺ**): قال الزهري: بركت ناقة النبي ﷺ موضع مسجده وهو يومئذٍ يصلّي فيه رجال من المسلمين وكان مربداً لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار كانا في حجر أسعد بن زرارة، فساوم رسول الله ﷺ الغلامين بالمربد ليتّخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ فابتاعه منهما بعشرة دنانير، وكان جداراً ليس له سقف وقبلته إلى بيت المقدس، وكان يصلي فيه ويجمّع أسعد بن زرارة قبل مقدم رسول الله ﷺ، وكان فيه شجرة غرقد ونخل وقبور للمشركين، فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت، وبالنخل والشجر فقطعت وصُفّت في قبلة المسجد، وجعل طوله ممّا يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع والجانبين مثل ذلك دون ذلك، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، ثم بنوه باللبن وجعل رسول الله ﷺ يبني معهم وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»

وكان يقول: «هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبرُّ ربَّنا وأطهر» (البخاري ومسلم).

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ **وأولوا الأرحام**

بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ رَدّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوّة (البخاري). ولو آخى بين المهاجرين لكان رفيقه في الهجرة وأنيسه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه أحقّ الناس بأخوّته، وقد قال ﷺ: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوّة الإسلام أفضل»، وفي لفظ: «ولكن أَخِي وصاحبي»، متفق عليه.

(صرف القبلة إلى الكعبة): وكان يصلي إلى قبلة بيت المقدس ويحبّ أن يُصرف إلى الكعبة، فجعل يقلّب وجهه في السماء يرجو ذلك، حتى أنزل الله: ﴿ **قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾، وذلك بعد ستة عشر شهراً من مقدمه المدينة (البخاري).

(كتبه ورسله ﷺ في الدعوة): لما رجع ﷺ من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض، وأرسل إليهم رسله، فكتب إلى ملك الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً؛ فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش عليه: محمد رسول الله في ثلاثة أسطر (البخاري)، وختم به الكتب إلى الملوك.

وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع؛ فأولهم عمرو بن أمية الضمري بعثه إلى النجاشي واسمه أصحمة بن أبجر، وتفسير أصحمة بالعربية عطية، فعظّم كتاب النبي ﷺ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة يوم مات بالحبشة، هكذا قال جماعة منهم الواقدي وغيره، وليس كما قال هؤلاء؛ فإن أصحمة النجاشي الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه، بل هو الثاني، ولا يعرف إسلامه؛ بخلاف الأول فإنه مات مسلماً.

وقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث قتادة عن أنس قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي. وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل، وهمّ بالإسلام ولكنّه لم يُسلم.

وقد روى أبو حاتم وابن حبان (في صحيحه) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة» فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: «وإن لم يقبل»، فوافق قيصرَ وهو يأتي بيت المقدس، فرمى بالكتاب على

البساط وتنحى، فنادى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن. قال: أنا. قال: فإذا قدمتُ فأتني. فلما قدم أتاه، فأمر قيصر بأبواب قصره فغلّقت، ثم أمر منادياً ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمداً وترك النصرانية. فأقبل جنده وقد تسلّحوا، فقال لرسول رسول الله ﷺ: قد ترى أني خائف على مملكتي، ثم أمر مناديه فنادى: ألا إن قيصر قد رضي عنكم. وكتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: «كذب عدوّ الله ليس بمسلم، وهو على النصرانية»، وقسم الدنانير.

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى واسمه أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، فمزّق كتاب النبيّ ﷺ فقال النبي ﷺ: «اللهم مزق ملكه»، فمزق الله ملكه وملك قومه.

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس واسمه جريج بن مينا ملك الاسكندرية عظيم القبط، فقال خيراً وقارب الأمر ولم يسلم، وأهدى للنبي ﷺ مارية وسيرين وقيسرى، فتسرى مارية ووهب سيرين لحسان بن ثابت. وأهدى له جارية أخرى، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وبغلة شهباء وهي دُلدُل، وحماراً أشهب وهو عُفَير، وغلاماً خصياً يقال له: مابور، وفرساً وهو اللزاز، وقدحاً من زجاج وعسلاً، فقال النبي ﷺ: «ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه».

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء، قاله ابن إسحق والواقدي والله أعلم.

وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فأكرمه. وقيل: بعثه إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي، فلم يُسلِم هوذة وأسلم ثمامة بعد ذلك، فهؤلاء الستة قيل: هم الذين بعثهم رسول الله ﷺ في يوم واحد.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد الله ابني الجلندي الأزديين بعمان، فأسلما وخلّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل بينهم حتى بلغته وفاة رسول الله ﷺ.

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه ﷺ من الجعرانة، وقيل: قبل الفتح، فأسلم وصدق.

وبعث المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن، فقال: سأنظر في أمري.

وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال، ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب إليهم، ووافاه بمكة في حجة الوداع.

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما، وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب، وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يسلم.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجذامي يدعوه إلى الإسلام، وكان فروة عاملاً لقيصر بمعان، فأسلم وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها: فضّة، وفرساً يقال له: الضرب، وحماراً يقال له: يعفور، وبعث أثواباً وقباء سندس مخوّص بالذهب فقبل هديّته، ووهب لمسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشّاً.

وبعث عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كلال من حمير.

(كُتُبه في الشرائع): منها كتابه في الصدقات الذي كتبه إلى أبي بكر، وكَتَبه أبو بكر لأنس بن مالك لما وجهه إلى البحرين، وعليه عمل الجمهور.

ومنها كتابه إلى أهل اليمن، وهو الكتاب الذي رواه أبو بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جدّه، وكذلك رواه الحاكم في صحيحه والنسائي وغيرهما مسنداً متصلاً، ورواه أبو داود وغيره مرسلاً، وهو كتاب عظيم فيه شيء كثير من الفقه في الزكاة والديّات والأحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق وأحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومسّ المصحف وغير ذلك. قال الإمام أحمد: لا شك أن رسول الله ﷺ كتبه، واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات.

ومنها كتابه إلى بني زهير.

ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب في نصب الزكاة وغيرها (أبو داود وغيره).

«هديه ﷺ في العبادات»

«الطهارة»

(هديه ﷺ في الوضوء): كان ﷺ يتوضّأ لكلّ صلاة في غالب أحيانه، وربّما صلّى الصّلوات بوضوء واحد (مسلم)، وكان ﷺ يتوضأ بالمدّ تارة وبثلثيه تارة وبأزيد منه تارة، وكان من أيسر الناس صبّاً لماء الوضوء، وكان يحذّر أمته من الإسراف عامّة، وأخبر أنه يكون في أمته من يتعدّى في الطهور (أحمد وغيره).

وصح عنه أنه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا، وفي بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثا، وكان يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين وتارة بثلاث، وكان يصل بين المضمضة والاستنشاق فيأخذ نصف الغرفة لفمه ونصفها لأنفه، وأما الغرفتان والثلاث فيمكن فيهما الفصل والوصل إلا أن هديه ﷺ كان الوصل بينهما كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد: أن رسول الله ﷺ تمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثاً، وفي لفظٍ: تمضمض واستنثر بثلاث غرفات، فهذا أصح ما رُوي في المضمضة والاستنشاق. وكان يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى وكان يمسح رأسه كله وتارة يقبل بيديه ويدبر.

ولم يتوضأ ﷺ إلا تمضمض واستنشق، ولم يحفظ عنه أنه أخلّ به مرة واحدة، وكذلك كان وضوؤه مرتّباً متوالياً لم يخلّ به مرة واحدة البتة.

وكان يمسح على رأسه تارة وعلى العمامة تارة وعلى الناصية والعمامة تارة، وكان يغسل رجليه إذا لم يكونا في خفين ولا جوربين، ويمسح عليهما إذا كانا في الخفين أو الجوربين، وكان يمسح أذنيه مع رأسه وكان يمسح ظاهرهما وباطنهما، ولم يصحّ عنه في مسح الرقبة حديث البتة.

ولم يحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئاً غير التّسمية في أوله وقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» (مسلم)، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» (الترمذي) في آخره.